

ظاهرة التطرف والعنف من الظواهر المستجدة في ساحة واقعنا الثقافي وتنازلها الكثيرون بالتحليل.. ولكن في الحقيقة هذه الظاهرة هي ظاهرة عالمية وتشغل بالتصدي لمعالجتها عديد من الدول المعنية وأهم المشروعات المستقبلية المعنية برصد أهم ملامح الصراع في ظل «نظام عالمي» جديد تتنازع مفاهيم «الكوكبية» Globalism من ناحية والصراعات العرقية Ethnic Conflicts من الناحية الأخرى.

وفي إحدى الدراسات المستقبلية المهمة يرصد عالم المستقبلات جيروم جلن في كتابه بعنوان العقل المستقبلي: الذكاء الصناعي^(١). إحصائية وردت عن مؤسسة إند تقول بأن «الإرهاب ينمو في عالم اليوم بنسبة ١٠ إلى ١٢٪ سنوياً. وطبقاً لهذا المعدل فإننا نتوقع حدوث ثلاثة أحداث إرهابية في اليوم في عام ٢٠٠٠». وإذا أردنا أن نتدخل إنسانياً وعلمياً لوقف نمو هذا السيناريو المخيف، فإن علينا أن نتعامل مع هذه الظاهرة بأساليب وتوجهات علمية وأمنية متعددة. وأرى أن لمصر دوراً خاصاً في هذا الصدد بحكم موقعها الجغرافي المتميز ودورها الإنساني على مدى التاريخ من ناحية، وبحكم أنها أصبحت تكابد مع هذه الظاهرة داخلياً في العقدين الأخيرين.

حيث إنني أرى - ومنذ فترة طويلة - ارتباط المعالجة الداخلية بالخارجية. وقد ركزت على هذه الرؤية في مقالين بجريدة الأهرام في بداية التسعينيات، أولهما بعنوان «التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه» (١٩ - ٢٠ - ١٩٩٢) والثانية بعنوان: لغة التطرف والإرهاب بين «تكنولوجيا العداء» و«المبدأ الديمقراطي» (٣٠ - ٦ - ١٩٩٢) - فإنني وفي هذه الدراسة أود أن أركز على معالجة الظاهرة علمياً على المحورين الداخلي والخارجي معاً لأهمية هذا الربط؛ خاصة وأن هناك جذوراً مشتركة على الصعيدين الداخلي والخارجي لمعالجة هذه الظاهرة.. خاصة وأن الإعلام سواء على صعيد إعلامنا أو على صعيد الإعلام الغربي قد ساهم كثيراً في خلط الأوراق، واستخدام المصطلحات دون تحديد دقيق أحياناً، وفي أحيان أخرى ساهم الإعلام في «اغتيال المعنى» وتفريغه واختزاله.. وكان لابد من مثل هذه الدراسة التي تحاول تحقيق الأهداف التالية، التي تمثل في نفس الوقت أقسام هذه الدراسة، وهي:

(١) تقديم عرض نقدي لجرة المصطلحات المستخدمة مثل «الأصولية»، «التسلط»، «الإرهاب»، «التطرف»، «التعصب»، «الانفلاق»، «الاستبداد» «الإطلاقية»، «الجمائية»، «التيوقراطية» «التأطير» ومجرة هذه المفردات / المصطلحات، والخلوص إلى فهم وظيفي للمقصود بها.

(٢) باعتبار أن التسلط هو المصدر الرئيسي لإنتاج خطاب التطرف والإرهاب، تقدم هذه الدراسة تحليلاً لتنوع هذا الخطاب، وإستراتيجيات ممارسته الواضحة والخفية؛ وحالات اللاتفاوض الناتجة عن هيمنته، وذلك من خلال عديد من الأمثلة المتعددة المستمدة، من سياقات عديدة من واقع تفاعلاتنا الثقافية، ومن واقع تفاعلات الإعلام الغربي أيضاً.

(٣) تقديم تصور لأهم عناصر مباريات ثقافة التفاوض الإيجابي، والتي نعتبرها الوسيلة والبديل الصحي لمواجهة آليات خطاب التسلط والتطرف.. فهي البديل وكذلك تمثل المفهوم المحوري للتعليم في القرن القادم.

(٤) تقديم تصور مبدئي للإستراتيجيات، التي ينبغي أن يأخذها صانع القرار بعين الاعتبار لمواجهة انتشار وهيمنة خطاب التسلط والتطرف والعنف داخلياً وخارجياً.. وإذا كانت سلبيات خطاب التسلط والتطرف والعنف لها أمثلة عديدة على ساحة تفاعلاتنا، إلا أنني أقصر الأمر على هذه الساحة فقط، بل إن ساحة التفاعلات الدولية تموج هي الأخرى بكثير من هذه الأمثلة. ومن هنا فإنني أقترح خطاب ومباريات ثقافة التفاوض الإيجابي؛ لتكون في مواجهة هيمنة خطاب التسلط والتطرف وآلياته الواضحة والخفية.